المحاضرة الأولى

تمهيد في معنى النقد

نشأ النقد مع الأدب أو بعده بقليل وقد نقول معه لأن الأديب نفسه يمكن أن يكون ناقدا لعمله الأدبي فهو يشق النص ويقومه ويعدله ويستبدل كلمة بأخرى ويقدم بيت على آخر او فقرة على أخرى إلى آخره....

ولنا في تاريخ الشعر ما يؤيد ذلك فهناك من الشعراء مثل زهير بن أبي سلمى والحطيئة من يبقي القصيدة حولا كاملا يعود اليها بين الحين والأخر معدلا ومغيرا فهو بهذا يكون ناقدا لعمله الأدبي.

ونقول قد نشأ النقد بع أيكون الأديب قد فرغ من كتابة النص شعرا كان أم قصة أم رواية وأذاعه بين الناس ويكون لهؤلاء موقف ما وهو يقرأون النص وهو موقف يتراوح بين الاعجاب المطلق أو الاستهجان المطلق لكن الناقد المتمرس هو الذي يستطيع أن يكشف أسباب الاستهجان أو الاعجاب يعضده في ذلك ذوق رفيع وقراءات واسعة للنصوص الأدبية الجيدة وثقافة عميقة في علوم مساعدة مثل علم اللغة وعلم الجمال وعلم النفس والاجتماع.

وعلى هذا يلاحظ أن النقد ليس مجرد التمييز بين ما هو جيد ورديء في النصوص الأدبية على الرغم من ان النقد في العربية توجي بذلك فو عدنا للمعجمات العربية لوجدنا أن كلمة نقد تعني تمييز الدراهم واخراج الزائف منها لذلك شبه العرب الناقد بالصيرفي فكما يستطيع الصيرفي أن يميز الدرهم الصحيح من البهرج كذلك يستطيع الناقد أن يميز النص الجيد من الرديء وتأتي كلمة نقد بمعنى العيب أو التجريح قال أبو الدرداء: (ان نقدت الناس نقدوك وان تركتهم تركوك) أي إن عبتهم عابوك.

وكان قدامة بن جعفر بعد ان حدد مهمة نقد الشعر، (وهو تمييز جيد الشعر من رديئة)، بعدها بدأ بتعريف ا لشعر و الذي هو عنده (قول موزون مقفى يدل على معنى) ، وهذا تعريف جامع مانع كما

يقـول أهـل المنطـق ، فقـد جعـل الشـعر قـوال خصـه بـالوزن ، الـن مـن القـول مـا لـيس بمـوزون ، ثـم خـص الـوزن بالقافيـة ، تمييـزا لـه عـن غيـر ا لمقفـى، ثم خصه بالدالة على المعن.

وعبر قرون من الممارسات النقدية عند كبار النقاد تطور النقد وتعددت اساليبه ومناهجه ومع ذلك يرى النقاد ان العملية النقدية لا تعدو ان تكون اسئلة عقلية يطرحها الناقد ويحاول الاجابة عنها .

ما الاسئلة الي يطرحها الناقد هو يسال عن معنى العمل الادبي ما الذي اراد الاديب ان يقوله ؟ وهو استفسار عن مضمون النص وما فيه من افكار وعواطف .

ثم يسال عن الكيفية التي عبر بها الاديب عن هذه الافكار والعواطف لان الادب ليس مضمونا او محتوى فقط وانما هو شكله ايضا ولابد ان يحوي كل مضمون شكلا ما والسؤال عن الكيفية التي عبر بها الاديب عن افكاره مهم لفهم المضمون اذ كيفما يكن الشكل يكن المعنى .

وبعد ان يفهم الناقد معنى النص وشكله يكون قد وصل الى الرحلة الثالثة من العملية النقدية وهي تقويم النص والحكم عليه والحكم في راي جمهرة النقاد هو الغاية من النقد ولا يختلف عنهم في هذا غير طائفة ترى ان مهمة النقد انما هي الكشف عن مضمون العمل الادبي وشكله واسلوبه فالمهمة وصفية وليست معيارية لان الحكم على النص الادبي مهمة القارئ وليس الناقد تمر العملية النقدية بثلاث مراحل وقد تتداخل فيما بينها وهي مرحلة التفسير اي معرفة المضمون ومرحلة التحليل اي فهم الشكل ومرحلة التقويم اي الاجابة عن مدى نجاح الاديب او فشله في التعبير عن تجاربه بلغة معبرة قادرة على نقل ما اراده القارئ .

اي ان النقد اسئلة عقلية تحتاج الى اجابات عقلية هذه الاسئلة هي ماذا قال الاديب ؟كيف قاله ؟ هل نجح ام فشل.

وعلى الرغم من ان النقد لابد ان يقوم على ذوق رفيع يمتلكه الناقد الا انه لا يمكن الاستغناء عن الاسس والقواعد التي هي ضرورية للنقاد لكي يكون ما يكتبه مقنعا وصائبا وقد قيل ان الناقد احوج الى الثقافة من الاديب نفسه .

وعلى هذا نلاحظ ان النقد ليس مجرد التمييز بين ما هو جديد وما هو ردئ في النصوص الادبية على الرغم من ان كلمة (نقد) في العربية توحي بذلك فلو عدت الى المعجمات العربية مثل لسان العرب او تاج العروس لوجدت ان كلمة نقد تعني تمييز الدراهم واخراج الزائف منها ولذلك شبه العرب الناقد بالصيرفي فكما

يستطيع الصيرفي ان يميز الدرهم الصحيح من البهرج كذلك يستطيع الناقد ان يميز النص الجيد من النص الرديء وتأتي كلمة نقد بمعنى العيب قال ابو الدرداء (ان نقدت الناس نقدوك وان تركتهم تركوك) اي ان عبتهم عابوك.

وكان قدامة بن جعفر قد عرف النقد بانه (علم تخليص جيد الشعر من رديئة) والنقد عند العرب صناعة وعلم لابد للناقد من التمكن من ادواته ولعل اول من اشار الى هذا ابن سلام في كتابه (طبقات فحول الشعراء) عندما قال : (وللشعر صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم بها كسائر اصناف العلم والصناعات) وكان ابن رشيق اوضح منه عندما قال (وقد يميز الشعر من لا قوله كالبزاز يميز من الثياب ملا ينسجه والصيرفي من الدنانير ملا يسبكه ولا ضرة) .

وهذه الثقافة يشير اليها ابن سلام تتشعب لتشمل اللغة والنحو والغريب والاخبار والانساب وايام العرب وغيرها لذلك ينسب الى ابي عمرو بن العلاء قوله : (العلماء بالشعر اندر من الكبريت الاحمر) اما الاصمعي فيقول (فرسان الشعر اقل من فرسان الحرب) ويريد بفرسان الشعر العلماء بالشعر .

ويصدق هذا الكلام على الناقد المعاصر فقد تعددت المناهج في العصر الحديث فهناك طائفة من النقاد ترى ان العمل الادبي صورة للأديب وقد قام على هذا التصور ما يسمى (المنهج النفسي) وهؤلاء يرون ان العنصر النفسي الذي يتمثل في العاطفة والاحساس هو ابرز ما ينكشف عنه النص الادبي وكان العقاد يرى ان الشعر يمثل شخصية منشئة وان مهمة الناقد الكشف عن الذات التي تقف وراء النص.

المنهج النفسي يرى ان الكتابة سلوك وان الابداع الادبي حالة سلوكية يمكن ردها الى اصولها ودوافعها النفسية والادب تعبير عن اللاشعور عند الانسان الذي يعبر عنه على نحو رمزي والناقد معني بالكشف عن الدلالات الرمزية للعمل الادبي .

ان المنهج النفسي يحاول ان يسلط الضوء اولا على عملية الخلق والابداع وثانيا على دلالة العمل الادبي عل نفسية منشئة وثالثا على اثر النص في نفس القارئ و نقدنا القديم لا يخلو من اشارات الى الدوافع النفسية لقول الشعر فهذا ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) يتحدث عن الدوافع لقول الشعر فمنها الشوق والرغبة والطرب والغضب والطمع كما يشير الى اثر البيئة في النظم .

وطائفة اخرى تمضي الى ابعد من التساؤل الذي يثيره اصحاب المنهج النفسي فهم يقولون اذا كان الاديب قد اوجد النص وخلقه واثر فيه وطبعه بطابعه فمن يا

ترى قد اوجد الاديب واثر فيه ؟ فيأتي الرد (المجتمع) وعلى هذا فان المنهج النقدي الرصين يعني بدراسة الادب في ضوء الظروف التي نشأ فيها لان الادب ظاهرة اجتماعية وسيلتها (اللغة) وعلى هذا فمن اولى مهمات النقد ان يبحث او يفسر العلاقة المعقدة والتأثير المتبادل بين المجتمع والاديب وصولا الى فهم سليم للعمل الادبي ان الادب لا ينشأ في فراغ.

وتأتي طائفة ثالثة ترى غير ما يراه المنهجان السابقان –لأن النص عندها وجود مستقل عن الاديب والمجتمع وهذا هو(المنهج الفني)وهو منهج يبدا من العمل الادبي وينتهي به وعندهم ان النص بناء لغوي قائم على مجموعة من العلاقات بين عناصر العمل الادبي وهذه العناصر تستمد قيمتها ووظيفتها من صلاتها فيما بينها فالعمل الادبي بناء مركب تركيبا لغويا.